الباب الرابع

العتبة والأزبكية وصُورة مصر المحروسة

القاهرة .. مدينة القناطر

لأن القاهرة محصورة بين النهر والجبل : النيل والمقطم . وحتى لا تتعرض لمشاكل نقص المياه اللازمة لشرب الناس وري البساتين ، تم حفر خليج أمير المؤمنين فى بداية العصر الإسلامى ليتوسط المسافة بين النهر والجبل . وهو الذى تطور وحمل اسم الخليج المصرى وإلى الخليج بعدها .

ولأن النيل كان بعيدًا عن القاهرة المعزية لم يسكن الناس قريبًا منه ، ولهذا فضلوا السكنى حول وقرب هذا الخليج حيث كان ماء الخليج يلطف جو القاهرة خصوصًا فى شهور الصيف الطويلة ، أى كان بمثابة المصيف لسكان العاصمة وكان منسوب المياه يرتفع فى الخليج زمن الفيضان بين شهرى أغسطس وفبراير .

وحول هذا الخليج كان لابد من إنشاء عدد من القناطر ، أى الجسور يعبر عليها سكان القاهرة ورجال الوالى . وكان فى القاهرة ٢٤ قنطرة تقع كلها على الخليج المصرى تبدأ من فم الخليج إلى الاميرية . .

** وهكذا ـ وعلى طول هذا الخليج ـ وجدنا القناطر التالية : قنطرة باب الخرق وقنطرة السد . وقنطره الدكة . وقنطره سنقر . وقنطره الليمون وقنطره الموسكى وقنطرة الأمير حسين والقنطرة الجديدة ، وقنطرة عمرشاه . . ومع الزمن وردم الخليج المصرى فى نهاية القرن ١٩ ليتحول إلى أطول شارع فى مصر تسير عليه خطوط الترام كأول خط فى القاهرة ، تحولت القناطر إلى شوارع ، إلا قنطرة قد ادار التى كانت قريبة من باب اللوق وعرفت بقنطرة المدابغ وأزيلت عند تخطيط منطقة الإسماعيلية .

مثلاً قنطرة الدكة تحولت إلى شارع قنطرة الدكة وطوله ٥٠٠ متر يبدأ من عند قنطرة

الليمون وينتهى بقنطرة الدكة ، ويعرف باسم الدكة بسبب الدكة التى كانت عند هذه القنطرة . وكان يجلس عليها المتفرجون أيام ارتفاع منسوب النيل ، عندما كان قريبا من باب الحديد ـ ولاحظوا باب البحر الشارع الحالى أيضًا ـ وكان شارع قنطرة الدكة قريبًا مع جامع أولاد عنان الذى تم هدمه لإنشاء مسجد الفتح الجديد فى باب الحديد . وفى هذا الموقع كان هناك بستان عظيم به منظرة للخلفاء الفاطميين يتمتعون بالجلوس عندها ليشاهدوا جمال النيل . ولكن البستان تخرب وكان أوله من قنطرة الدكة وينتهى أول الشارع الممتد من الأزبكية إلى بولاق « شارع فؤاد أو ٢٦ يوليو » ومن ضمنه فندق شبرد القديم وما يجاوره من قصور أبرزها القصر الذى بناه محمد على باشا لابنته الأميرة زينب والذى كان معروفًا باسم سراى الأزبكية . أما شارع بستان الدكة فبين شارعى الجمهورية وعماد الدين .

** أما قنطرة الذى كفر فكانت توصل إلى شارع الخلوتى . وقد اختلف الناس حول سر هذه التسمية وأورد على باشا مبارك فى خططه التوفيقية كل هذه الاختلافات والتى شارك فيها أحمد باشا تيمور وهى تقع فى حى درب الجماميز وهل الذى بناها مهندس إيطالى أم فرنسى واسمه : كفرللى وأعتقد العامة أن « لل » تعنى الذى فتحول الاسم إلى الذى كفر ولمن يطلب المزيد أن يرجع إلى الجزء الثالث من الخطط التوفيقية صفحة ٨٤ـ٨٨ .

وعن قنطرة سنقر يقول المقريزى فى خططه أنها كانت تقع على الخليج باسم الأمير آق سنقر الذى بنى الكثير من المنشآت أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون . وكان هذا الشارع يمتد من شارع الخلوتى ويتجه يسارًا إلى حارة النصارى ثم إلى شارع سويقة اللالا، وبه حمام سنقر الذى ظل عامرا حتى سنوات قريبة .

** أما قنطرة السيدة فكانت أشهر قناطر القاهرة . وكانت تعرف باسم قناطر السباع التى أنشأها الظاهر بيبرس وأقام عليها سباعًا من حجارة ، فحملت اسم قناطر السباع . وهدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون ليبنى محلها قناطر حملت اسمه وهى قريبة من السيدة زينب بل كانت القناطر أمام المسجد الزينى مباشرة .

وانتهت كل هذه القناطر بنهاية الخليج نفسه . وذهب الخليج وتهدمت القناطر ولكن بقى اسم الخليج كأطول شوارع القاهرة . ورغم أنهم حولوه إلى اسم شارع بورسعيد ولكن ظل اسم الخليج هو الشائع بسبب عراقته وعمره الذى يتجاوز ١٣٠٠ عام . . وذهبت القناطر ولكن بقيت أسماؤها لتتحول إلى شوارع مازالت باقية تروى للناس بعضًا من تاريخ القاهرة .

** وللأسف حدث تغير فى السنوات الأخيرة وأخذ البعض ينادى بالتخلص من هذه الأسماء بحجة الجهل بمعانيها . . ولكن لجنة الأسماء تملك الوعى بتاريخ القاهرة . . ولهذا عليها أن تبقى على هذه الأسماء التاريخية وإن أرادت أن تضع اسمًا لأحد مشاهير العصر عليها أن تطلقه على الأحياء الجديدة والشوارع الجديدة .

ومدينة للبرك .. أيضًا :

لم يكن بالقاهرة خليج أمير المؤمنين « الخليج المصرى » وحده . . بل كان هناك الخليج الناصرى الذى حفره الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وموقعه الحالى شارع قصر العينى تقريبًا . وكانت القاهرة تتمتع بكثير من البرك التى تنتعش بالمياه عندما يرتفع منسوب نهر النيل . وكانت المياه تصل إلى هذه البرك إما من الخليج الناصرى أو من خليج أمير المؤمنين بقنوات وأنفاق تحت الأرض . وكان الهدف من هذه البرك أن توفر المياه للرى أو لاستخدامات الناس . ومن أشهرها : بركة الأزبكية . . بركة الفيل . . وبركة الرطلى . . والبركة الناصرية . . وبركة الفوالة . . وبركة قمر . . وبركة قرموط . . وبركة الشقاف قرب بستان الدكة .

** وعندما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة بونابرت ، كانت هناك ثلاث برك بحى المدابغ . أولها بركة الدم وهى الأصغر ، وكان طولها ٣٠٠ متر وعرضها ٥٠ مترًا . وكانت عبارة عن مصرف تتجمع فيه مياه المدابغ والقاذورات ومن هنا حملت اسم : بركة الدم . . والمقصود بالمدابغ هنا عندما كانت قريبة من ميدان باب الخلق قبل أن تستقر قرب سور العيون بمصر القديمة مروراً بموقعها قرب باب اللوق . .

والبركة الثانية بركة الصابر بجوار بركة الدم وطولها ١٥٠ مترا وعرضها ١٢٠ مترا . ثم

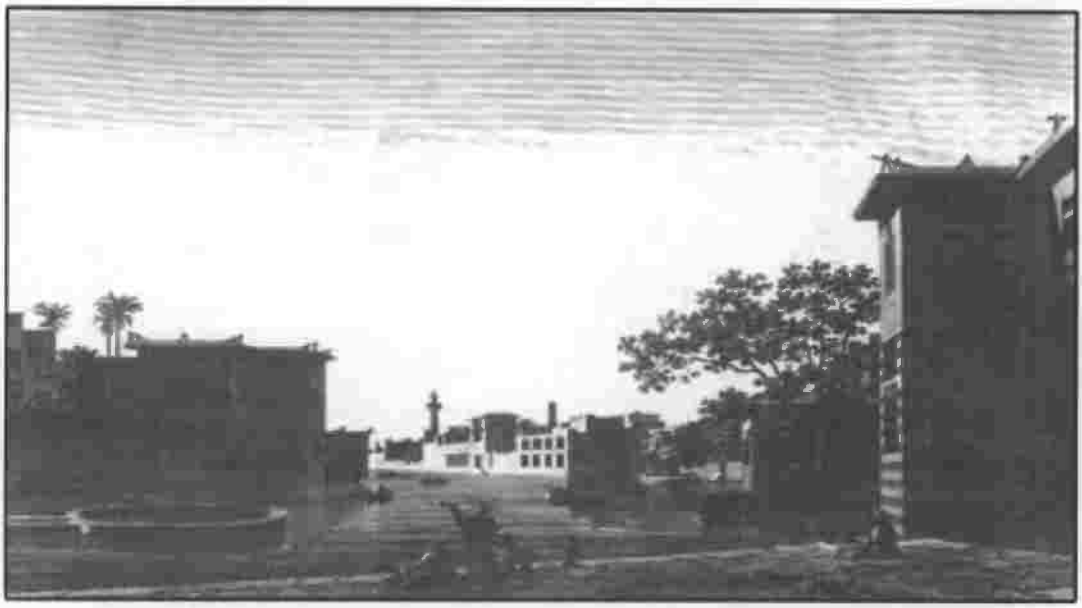

إحدى القناطر التى كانت مقامة على الخليج المصرى وحولها كانت قصور المماليك والأمراء

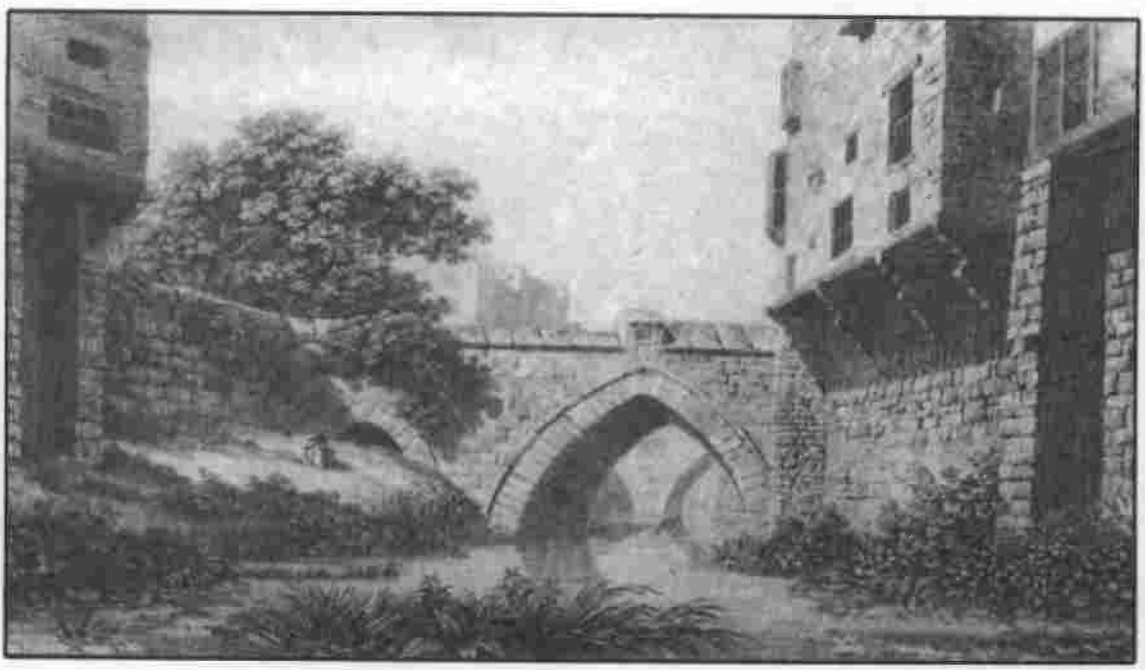

صورة لميدان بركة الفيل تغمره مياه فيضان النيل أيام الحملة الفرنسية .

بركة الفوالة وكانت تعرف أحيانا باسم بركة قرموط وهى الأكبر طولاً (٣٠٠ متر) وعرضا (١٠٠ متر) ، وكانت محل بستان كبير مساحته ٧٥ فدانًا وبها منظرة بديعة . .

** أما البركة الناصرية فكانت قرب ميدان لاظ أوغلى الحالى . وعندما ردمت بنى محلها إسماعيل باشا صديق « المفتش » قصره الكبير الذى تحول إلى مقر ديوان المالية فى أول شارع الدواوين أى الوزارات من ميدان لاظ أوغلى . وهو المبنى الذى أصبح مقرًا لوزارة المالية . ولاحظوا اسم الناصرية هذا الحى العتيق لأنه يعود إلى منشىء الخليج الناصرى السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

** وبركة الفيل من أقدم برك العاصمة . أنشأها رجل اسمه الفيل وهو أحد أصدقاء أحمد بن طولون . واشتهرت عندما أنشأ جوهر الصقلى القاهرة وكانت البركة بين الفسطاط وقاهرة المعز وكانت الأرض بينهما فراغًا إلى أن عمّرها الناس ابتداءً من عام ٦٠٠ هجرية وبنوا حولها القصور التى صارت من أجمل مبانى مصر . وكانت البركة ذات مساحة كبيرة تمر بمناطق باب الخلق والحلمية الجديدة والسيوفية والحوض المرصود والصليبة . حتى تصل إلى ميدان القلعة ، وغربا تصل إلى شارع الخليج .

وكان يقع بالغرب منها بركة قارون قرب جامع ابن طولون ، ثم انقسمت إلى بركتين إحداهما بركة البغالة جنوبى مسجد السيدة زينب . وكالعادة ـ ومع التطور ـ انتهت هذه البرك . . لكن مازال الناس يتذكرون أسماءها . .

وكل برك القاهرة كانت نعمة للناس فى معظم أيامها ، إلا أنها كانت عند انحسار المياه عنها تتحول إلى مستنقعات ومناطق آسنة عفنة تزكم الأنوف ، يشكوا منها الناس ويتضررون . وهكذا مع الزمن تم ردم هذه البرك تباعًا . بعضها تحول إلى حدائق . . وأكثرها تم تقسيم أراضيها وبيعت للناس ، فأقاموا عليها مساكنهم . . وذهبت البرك وإن بقيت الأسماء فى ذاكرة الأمة . تمامًا كما اشتكى الناس فى أواخر عصر الخليج عندما تحول إلى مجرى تصب فيه المخلفات ومع انتشار الكوليرا فى أواخر القرن الماضى تم ردم الخليج عام ١٨٩٨ ليتحول إلى أطول شوارع القاهرة ويجرى فوقه أول خط للترام فى مصر فى العام التالى . .

بركة الأزبكية تحيط بها قصور الأمراء وبكوات المماليك ـ فى القرن الثامن عشر .

** وذهب عصر البرك كما ذهب عصر الخليج بعد ٣٨٠٠ عام هى عمر هذا الخليج منذ حفره الفرعون سنوسرت الثالث كأول مجرى مائى صناعى يربط النيل بالبحر الأحمر . .

بركة الأزبكية .. والحى الشهير :

بركتان كانتا ملء السمع والبصر فى القاهرة فى عصر محمد على الكبير . الأولى بركة الفيل . والثانية بركة الأزبكية . ولكنهما ذهبتا ولم يبق منهما الا الاسم .

** فبركة الفيل كانت بمثابة حى الزمالك الآن . فكان فيها قصور الأمراء طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر . وكان بها ثلاثة أرباع قصور الأمراء حول البركة . وكانت مياه الفيضان تغمرها ثمانية أشهر كل عام ، وتتحول إلى حديقة غناء طوال أربعة اشهر فى السنة . وفى شهور الفيضان كانت المراكب الشراعية تملأ البحيرة حيث يستقلها الأغنياء مع زوجاتهم وحولهم الفرق الموسيقية والألعاب النارية .

** أما بركة الأزبكية فكانت مقر البرجوازية القاهرية . أى كان يسكنها كبار التجار والمشايخ الذين أقاموا قصورهم على ضفاف البركة . ومن أشهر التجار الحاج قاسم بن الحاج محمد دادة الشرايبى كبير تجار البن . ومن أشهر المشايخ نجد آل البكرى من الأشراف .

وبركة الأزبكية هى ما تبقى من بركة بطن البقرة . ويرجع اسمها إلى الأتابك أزبك بن ططخ الذى بدأ فى تعميرها عام ٨٨٠ هجرية ، وكانت منطقة خربة بعد أن ردم خليج الذكر الذى كان يغذيها . فجاء أزبك الذى حفر مجرى من الخليج الناصرى ليوصل الماء إلى أرض الأزبكية . وسكن الأمير أزبك بجوارها بعد أن أزال الكيمان ـ أى التلال من القمامة وغيرها ـ ومهد الأرض وجدد حفر البركة وجدد تعمير قنطرة الذكر وبنى رصيفا حول البركة . وقد شجعت هذه العمليات الأهالى فانطلقوا يبنون حولها بيوتهم لتتحول الأزبكية إلى حى كبير عام ١٤٩٥م . وأنشأ الأمير أزبك بها مسجدًا كبيرًا وانتشرت حوله الحمامات والطواحين والربوع أى جمع « ربع » . . وهذه تذكرنا بمنطقة « تحت الربع » القريبة من ميدان العتبة . .

وظل مسجد أزبك فى موقعه بالقرب من مدخل شارع الأزهر حتى أزيل عند إعادة تخطيط ميدان العتبة وفتح شارع محمد على الذى يربط بين ميدان العتبة ـ محمد على باشا الكبير ـ وقلعة القاهرة .

** وأزبك كان من مماليك الأشرف برسباى . ثم اشتراه الظاهر جقمق وزوجه من ابنته ثم عين نائبًا على الشام أيام الظاهر بلباى ثم أتابكا أيام الأشرف قايتباى لمدة ٣٠ سنة . وحارب سلطان العثمانين بايزيد الثانى بن محمد الفاتح وانتصر عليه . وتوفى عام ٩٠٤ هجرية وعمره ٨٥ عامًا بعد أن ترك ثروة طائلة .

وعندما دخل العثمانيون مصر عام ١٥١٧ أقاموا خيامهم حول بركة الأزبكية ثم بنى رضوان كتخدا قصرًا كبيرًا على الحافة الشرقية للبركة فى نفس موقع بيت الدادة الشرايبى تاجر البن الشهير المتوفى ١٧٣٤م . وكان هذا القصر يعرف باسم « الثلاث ولية » ثم عرف باسم العتبة الزرقاء . وهى الدار التى آلت بعد ذلك إلى طاهر باشا ناظر الجمارك فى عهد محمد على . ثم إلى عباس حلمى الأول ـ ثالث الولاة من أسرة محمد على ـ الذى هدمها وأعاد بناءها وأطلق عليها اسم العتبة الخضراء لأنه كان يتشاءم من اللون الأزرق . أى أن الأصل هو ـ ميدان العتبة الزرقاء قبل أن تصبح العتبة الخضراء على أيام عباس حلمى الأول ـ وكانت عتبة هذا القصر خضراء اللون .

** وفى عهد الخديو إسماعيل تم تكليف المهندس الفرنسى الشهير هوسمان بإعادة تخطيط منطقة الأزبكية وأصبحت هذه الدار فى وسط الميدان وأطلق على جزء منه اسم : العتبة الخضراء . وعلى الجزء الآخر ميدان أزبك . ولقد أصبح هذا القصر مقرًا للمحكمة المختلطة عند إنشاء القضاء المختلط أيام وزارة نوبار باشا . وعندما تقرر توسيع الميدان تم هدم هذا القصر فانتقلت المحكمة إلى مبنى جديد أنشىء خصيصًا لها فى شارع فؤاد هو مقر دار القضاء العالى الآن !!

** ويهمنا هنا أن نذكر أن على بك الكبير الذى حاول الاستقلال بمصر عن سلطان تركيا قد أنشأ دارًا كبيرة على الحافة الجنوبية من بركة الأزبكية . ومات فيها . وآلت هذه الدار إلى محظيته وزوجته الست نفيسة التى عرفت بالمرادية لأنها تزوجت بعد ذلك من مراد بك الكبير شيخ البلد الذى كان يقتسم حكم مصر مع عدوه اللدود

شيخ البلد مراد بك الذى كان يحكم مصر قبيل الحملة الفرنسية .

إبراهيم بك . وكانت الست نفيسة ذات مكانة عالية أيام الفرنسيين وأيام محمد على وتوفيت عام ١٨١٦م .

وإذا كان إبراهيم باشا ابن محمد على الكبير هو أول من فكر ونفذ فكرة ردم بركة الأزبكية بعد أن تحولت إلى بؤرة غير نظيفة ، وبنى فيها محمد على باشا قصرًا لابنته زينب . . فإن إسماعيل باشا ابن إبراهيم هو الذى حول الأزبكية إلى منطقة عصرية من الطراز الأول فى قلب القاهرة .

الخديو إسماعيل .. ملك الأزبكية

لم يكن هدف الخديو إسماعيل مجرد تجميل منطقة الأزبكية . بل كان يخطط لتحويلها إلى « صرة » لعاصمته الجديدة التى يحلم بها . كان يريدها أن تكمل مشروعه الآخر بتخطيط منطقة الاسماعيلية ـ بين كوبرى قصر النيل وميدان التحرير وشوارع وسط القاهرة كلها ـ لهذا كلف المهندس الفرنسى الشهير فى تخطيط المدن « هوسمان » بتخطيط منطقة الأزبكية .

** وقال الخديو للمهندس الفرنسى : أريد الأزبكية قطعة من باريس ، تجمع بين جمال حدائق الغابة السوداء « غابة بولونيا » فى باريس وبين منطقة أوبرا باريس والأحياء التجارية حولها . . وفعلاً خصص هوسمان مساحة كبيرة من الأزبكية لتصبح على غرار غابة بولونيا فى قلب باريس وعهد بتخطيطها إلى المهندس الفرنسى باريل ديشان بك . وقد تم ردم بركة الأزبكية عام ١٨٦٤م بعد أكثر من أربعة قرون عندما حفرها الأتابك أزبك . وأنشئت حديقة الأزبكية عام ١٨٧٢ وفيها جبلايات صناعية وزرعت فيها الأشجار النادرة . وبالمناسبة فإن هذا المهندس هو الذى أنشأ بساتين الأورمان ـ حديقة الأورمان ـ وحديقة سراى الجيزة .

** وكجزء من تعمير هذه المنطقة تم إنشاء دار الأوبرا عام ١٨٦٩ . وفى عام ١٨٧٣ أقيم تمثال إبراهيم باشا ـ والد الخديو اسماعيل ـ ونفذه المثّال كورديه وتكلف ١٥٤٣٠ جنيهًا وتكلفت قاعدته ٢٨٩٠ جنيهًا . وكانت مساحة الحديقة ٢١ فدانًا . ولكن هذه الحديقة العظيمة تعرضت لعدة اعتداءات . ففى عام ١٩٥٢ تم إزالة

دار الأوبرا القديمة كانت أبرز معالم منطقة الأزبكية فى عصرها الذهبى .

الأسوار وسمح للجمهور بالدخول مجانًا . وأقيمت فيها المقاهى ومسرح العرائس ومسرح ٢٦ يوليو ومسرح الأزبكية ومساحة كانت تستعمل سينما صيفية تتحول إلى صالة باتيناج فى الشتاء ومبنى سنترال الأوبرا ثم تم فتح امتداد لشارع ٢٦ يوليو ليقسم الحديقة إلى قسمين . . ولولا ما قام به محافظ القاهرة عام ١٩٩٤ اللواء عمر عبد الآخر من جهود لماتت حديقة الأزبكية . . ولكنه أحياها وحافظ عليها .

** وفى الزمن الطيب كانت فرق موسيقى الشرطة تعزف فى الحديقة طوال يومى الجمعة والأحد من كل أسبوع لمدة ساعتين للترفيه عن الناس . . وكان دخول الحديقة فى هذين اليومين برسم مضاعف . وبالمناسبة كانت بالحديقة عدة دورات مياه عامة نظيفة لخدمة الجمهور . وفى العصر الذهبى لمنطقة الأزبكية أنشىء فندق الكونتنتال عام ١٨٩٩ ومازال هذا الفندق الذى شهد أحداثا سياسية وأدبية عظيمة قائمًا حتى الآن رغم محاولات هدمه الحالية !!

** ونتصور تخطيط المنطقة : فها هو شارع ابراهيم باشا الذى يوصل بين قصر الحكم فى عابدين إلى محطة السكة الحديد يتوسطه بالضبط تمثال البطل ابراهيم باشا . ويخرج منه شارع الألفى بك . وشارع فؤاد ثم شارع عدلى فشارع قصر النيل فشارع الساحة ـ رشدى ـ إلى أن يصل إلى عابدين .

** وخلف هذه المنطقة نجد ميدان العتبة الخضراء الذى حمل اسم الملكة فريدة عندما تزوجها الملك فاروق . كما أطلق اسمها على شارع عبد الخالق ثروت وامتداده من ميدان الأوبرا إلى العتبة . وبعد طلاق فريدة أعيد الميدان إلى اسمه القديم : العتبة الخضراء !!

وفى هذه المنطقة مازالت هناك رائحة من تاريخ . ففيها مبانى البوسطة العمومية ومبنى صندوق الدين الذى احتلته لفترة مديرية الشئون الصحية بالقاهرة .

وخلف دار الأوبرا كانت تقع «قهوة متاتيا» التى كان يلتقى فيها أدباء وساسة مصر. والتى يحاولون ـ على مدى أربع سنوات هدمها دون طائل ـ وبعد حريق الأوبرا عام ١٩٧١ تحول الموقع من أوبرا للفن الرفيع إلى جراج متعدد الأدوار !! تصوروا !! وتحولت

دار التمثيل الخديوية إلى مسرح الأزبكية : أو المسرح القومى . وأزيل سور الازبكية بما عليه من كنوز ونفائس الكتب لتحتل الموقع البوتيكات وأجهزة الترانزستور !!

وفى ميدان العتبة نجد عمارات فخمة تدل على رائحة التاريخ ويكاد يكون الميدان مربعًا تحيط به تلك العمائر التى تجاوز عمرها المائة عام ومازالت صامدة . ومنه تخرج شوارع : الجيش ـ الأمير فاروق سابقا ـ والموسكى والأزهر وعبد العزيز الذى كان سلطانًا لتركيا وخليفة للمسلمين وشارع البيدق . . ثم الرويعى والعشماوى وتحت الربع . وهذه كلها شوارع لها تاريخ سوف نعود إليها نروى حكايتها خصوصًا لو عرفنا أن فى هذه المواقع كانت مدافن ومقابر لأبناء القاهرة .

ولكننا لا ننسى قصر محمد بك الألفى . . المملوك الذى دفع فيه ألف دينار لشرائه !!

المملوك الذى طمع فى حكم مصر !

وإذا ذكرت الأزبكية لابد أن يذكر محمد بك الألفى . فإذا كان هناك حول بركة الازبكية ٢٠ قصرًا فخمًا للأمراء . . وحولها قصور البكوات المماليك وتسبح المراكب التى تحمل الفوانيس المضيئة فوق أشرعتها على البركة فإن عام ١٧٩٨ يحمل معنى جديدًا للأزبكية . . ففى يوم ٢٧ فبراير ١٧٩٨ انتهى إنشاء أفخم قصور الأزبكية . أنشأه محمد بك الألفى كبير المماليك وجعله تحفة معمارية رائعة على الجهة الغربية من بركة الأزبكية .

** ومحمد الألفى جُلب مملوكًا عام ١٧٧٥ اشتراه أحمد جاويش الذى باعه إلى سليم أغا الغزاوى الذى أهداه إلى مراد بك شيخ البلد . فرد مراد بك الهدية بألف أردب من الغلال . وقيل إن هذا سر تسميته بالألفى كما قيل إن السبب أنه اشتراه بمبلغ ألف دينار !!

المهم أن مراد بك أعتق محمد الألفى وقلده الصنجقية أى الإمارة ١٧٧٨ ، واشتهر بالعنف والفجور فهابه الناس ، ولذلك أحبه مراد بك ! فقد اشترى المماليك وكون ثروة طائلة وتعددت مساكنه منها داره فى جهة الشيخ ظلام وأنشأ هناك حمامًا عرف باسمه فى

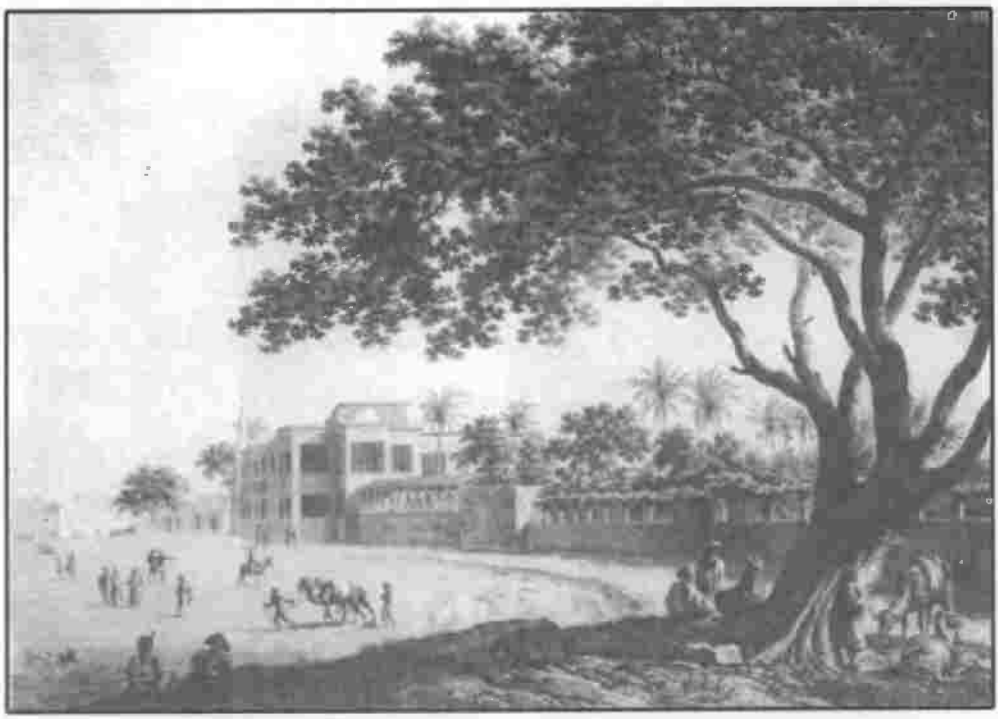

قصر محمد بك الألفى بالأزبكية الذى اتخذه نابليون بونابرت مقراً لقيادة الجيش الفرنسى

حديقة قصر الألفى بك من الداخل حيث قتل الجنرال كليبير .

حى الحلمية الجديدة شرقى بركة الفيل وفى نهايته حارة باسم : حارة الألفى .

** ثم سكن دار أحمد جاويش ـ أستاذه الأصلى ـ فى درب سعادة وبنى قصرًا على النيل فى الفسطاط مقابل مقياس الروضة . وأنشأ قصرًا بالعباسية بين باب النصر والدمرداش . ولكن قصره بالأزبكية كان أفخمها . إذ اشترى قصر أحمد شويكار قرب قنطرة الدكة وهدمه وأنشأ مكانه قصرًا فخمًا وزينه بالبللور مع فسقية من الرخام ونافورات بديعة .

واحتفل الألفى بسكنى هذا القصر فى فبراير ١٧٩٨ ، ومكث فيه ١٦ يومًا فقط وسافر إلى الشرقية لعدة شهور لمتابعة أعماله لأنه كان « كاشف الشرقية » وفى هذه الفترة دخل الفرنسيون القاهرة فى يوليو فاحتلوا القصر واتخذه بونابرت سكنًا له ومقرًا لقيادة الحملة الفرنسية . وأبلى الألفى بلاءً حسنا فى معركة انبابه ، ولم يستسلم بعد الهزيمة وظل يحاربهم وعمل مع العثمانيين ثم مع الانجليز . وبسبب حذره الشديد لم يكن ينام فى دار واحدة أكثر من ليلتين . وكانت قواته تمثل نصف قوات المماليك مجتمعة إذ كان يتملك أكثر من « ١٠٠٠ مملوك » وربما لهذا السبب أيضًا كان اسمه !!

** وحارب الألفى العثمانيين فى البحيرة وهزمهم وكان خسرو باشا الوالى العثمانى يسكن قصر الألفى هذا . واتصل الألفى بالانجليز وسافر معهم لمدة سنة وبضعة أيام وعاد لمصر ١٨٠٤ ليناوىء محمد على على حكم مصر ، ولكن محمد على اتفق مع عثمان بك البرديسى ليعمل ضد الألفى الذى نجا من محاولة اغتيال . وحاول مهادنة محمد على بعد تعيينه واليًا على مصر فى مايو ١٨٠٥ رغم أنه هزم قوات محمد على مرات عديدة . وأرسل الألفى يطلب مساعدة الإنجليز الذين وعدوه بإرسال قوة من ٦٠٠٠ جندى لمساعدته فى تولى حكم مصر . وانتظر الألفى وصول القوات الإنجليزية ثم زحف على الجيزة ولكنه أصيب بالمرض وكان يتقيأ دمًا وهنا قال الألفى « قضى الأمر . . وخلصت مصر لمحمد على ، وما أظن أن تقوم للمماليك راية بعد اليوم » . . ومات الألفى ليلة ٢٨ يناير ١٨٠٧ وتفرقت قواته كما تفرقت قوات البرديسى . وعندما وصلت القوات الانجليزية بقيادة فريزر ١٨٠٧ كان الألفى قد مات وفشلت الحملة بعد هزيمتها فى رشيد .

** ومات الألفى وعمره ٥٥ عامًا . أما قصره الذى استمر مقرًا لقيادة الحملة الفرنسية فقد تسلق الشاب السورى سليمان الحلبى أسواره ليقتل كليبير خليفة بونابرت . ثم تحول القصر إلى مقر للضيافة ثم إلى فندق كبير هو فندق شبرد الذى احترق عن كامله فى حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ . وكان القصر يشغل مساحة هائلة من شارع نجيب الريحانى إلى شارع الألفى طولاً ، ويمتد إلى شارع عماد الدين . وتشغل هذه المساحة الآن عدة عمارات فخمة ومازالت مساحة منه عبارة عن أرض فضاء .

** وانتهى تاريخ محمد بك الألفى ولكن القاهرة خلدت ذكراه على أساس أنه أحد الذين عمروا منطقة الأزبكية ، فأطلقت اسمه على الشارع الممتد من تقاطع شارع إبراهيم باشا « الجمهورية الآن » إلى تقاطعه مع ميدان التوفيقية ـ أحمد عرابى الآن .

وذهب الألفى الجسد . . وظل الاسم على لافتة زرقاء تقول للناس هنا : شارع محمد بك الألفى !!

الشيخ .. عماد الدين

وما دمنا فى منطقة الأزبكية كيف ننسى شارع عماد الدين ؟! الذى يمتد من شارع رمسيس ـ قرب ميدان باب الحديد ـ إلى ما بعد شارع الناصرية بقليل . . ولكن بلدية القاهرة قسمت هذا الشارع الذى كان طوله يصل إلى ٢٥٠٠ متر إلى قسمين . الجنوبى منه يبدأ من الناصرية ويحمل اسم محمد بك فريد ـ خليفة مصطفى كامل باشا فى زعامة الحزب الوطنى القديم ـ ويصل إلى تقاطعه مع شارع فؤاد « ٢٦ يوليو » أى يبدأ غير بعيد من قصر عابدين ويمر بمنطقة البنوك ويدخل فى القلب التجارى للقاهرة .

أما القسم الشمالى فقد احتفظ باسم : عماد الدين وهو يبدأ من تقاطع شارع فؤاد ويصب فى شارع رمسيس . فمن هو عماد الدين هذا ؟!

** هو الشيخ عماد الدين صاحب الضريح الموجود بالقرب من تقاطع الشارع مع شارع الشيخ ريحان ولا نعرف تاريخ إنشاء هذا الضريح ولا شيئًا عن الشيخ ، ولكن عليه كتابة تسجل تاريخ ١٦٦١ ميلادية أى فترة الحكم العثمانى لمصر . والغريب أن

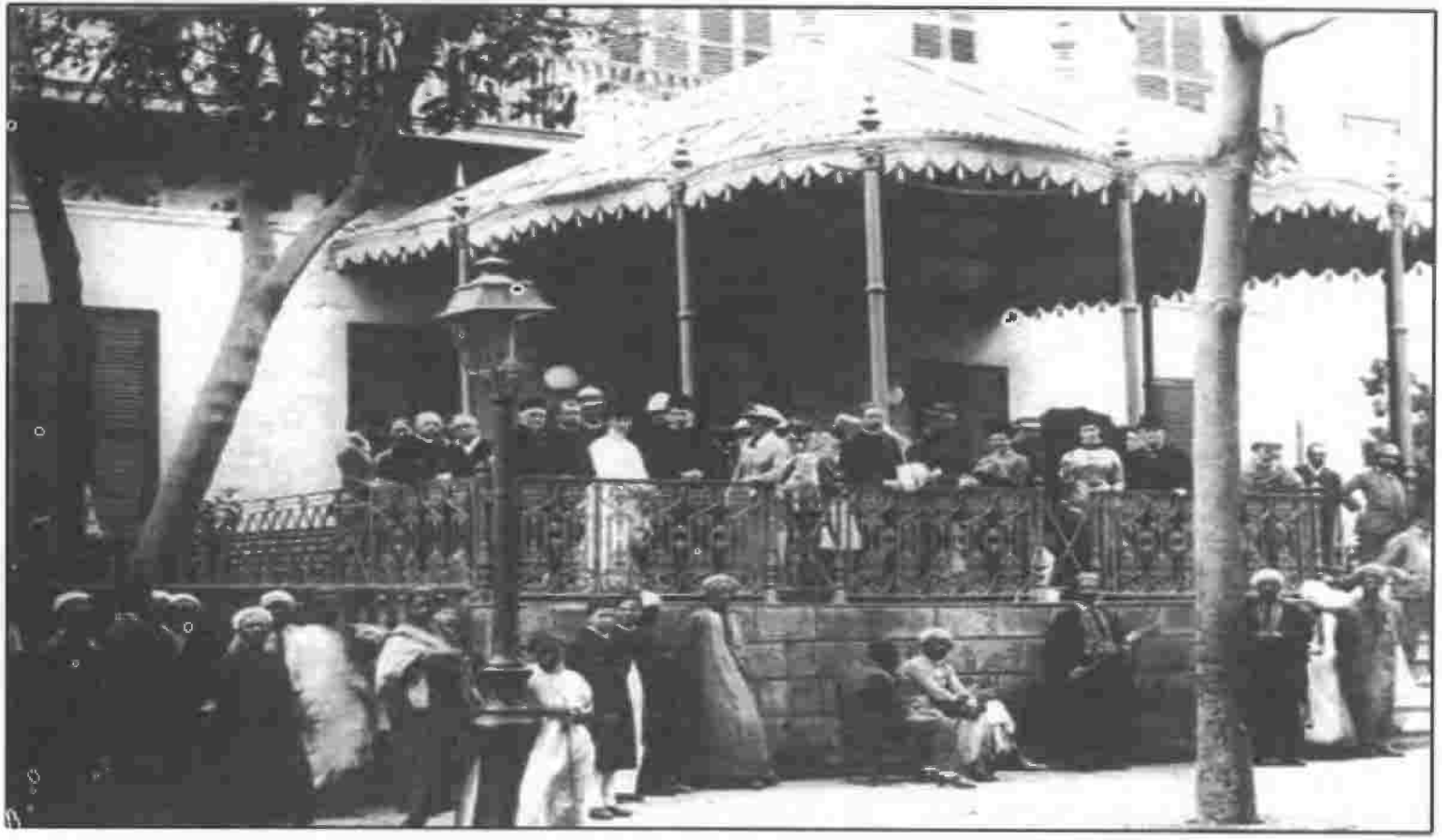

فندق شبرد القديم كما كان يبدو عام ١٨٨٠ وقد احترق الفندق فى حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ وكان
جزءاً من قصر محمد بك الألفى

الضريح يقع الآن فى الجزء الذى يحمل اسم محمد فريد . . ولا يقع فى الجزء الذى يحمل اسم : عماد الدين !!

* وفى بداية القرن العشرين كان النشاط الفنى كله يتركز حول منطقة الأزبكية حيث أنشىء « التياترو » جنوب الأزبكية . وحتى سنوات قريبة . كان هناك شارع يحمل اسم : شارع التياترو الذى كان يجاور سور الأزبكية الشهير . وانتشرت المسارح ودور الغناء والطرب والمقاهى والبارات فى شارع عماد الدين وفى مقدمتها مسرح الماجستيك الذى كان يمثل عليه بربرى مصر الوحيد على الكسار ، ومسرح الريحانى . وبدأت دور السينما تزحف على الشارع حتى وجدنا طلعت حرب باشا ينشىء داراً فخمة للسينما هى سينما استديو مصر . . وكانت تصطف على الجانبين ومازال العديد من دور السينما والمسرح . واحتل شارع عماد الدين مكانة الأزبكية كمقر لدور المسرح واللهو والطرب ، ولم يبق فى منطقة الأزبكية حتى سنوات قريبة إلا ملهى صفية حلمى الذى احترق ضمن حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ ثم أعيد تجهيزه ولكنه تحول إلى مسرح فى جزء منه وانتهى عصر ملهى صفية حلمى من سنوات قليلة .

** وبسبب الشهرة الفنية لشارع عماد الدين وجدنا حول المنطقة أسماء الفنانين الكبار الذين ارتبطوا بالفن وبالشارع . إذ وجدنا شارع نجيب الريحانى بدلاً من شارع وجه البركة . وشارع سيد درويش خلف مسرح الريحانى . وشارع زكريا أحمد تمامًا كما وجدنا محافظة القاهرة قد أطلقت اسم على الكسار على شارع الجنينة على بعد أمتار من شارع منافسه فى المسرح والسينما نجيب الريحانى .

** وفى شارع عماد الدين نجد اهتمام الخديو عباس حلمى الثانى ـ آخر خديو لمصر والذى عزلته بريطانيا عام ١٩١٤ ـ وقد أنشأ الخديو عباس هذا عمارات الخديو، وهى من أفخم عمارات القاهرة ، وأقيمت على الطراز المعمارى الإيطالى ، واستخدم الرخام فيها فى الأعمدة والسلالم . . وبعد عزل الخديو عباس بفترة آلت عمارات الخديوية هذه إلى أجنبى اسمه سيتون ثم تم تأميمها فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات لتصبح مقرًا للعديد من الشركات المصرية .

الخديو عباس حلمى الثانى ترك بصمات معمارية هامة منها عمارات الخديوية
أشهر عمارات شارع عماد الدين .

** وعلى جانبى الشارع كانت هناك العديد من دور السينما الصيفية التى كانت مملوكة للأجانب ، تم هدم العديد منها فى فترة انحسار السينما فى الستينات ، ومازال الجزء الآخر صامدًا يدافع عن وجوده أمام عصر الانفتاح . . أما الحسنة الوحيدة فهى إغلاق البارات التى كانت موجودة بالشارع . . ومازالت فيه الآن عدد من المقاهى الشهيرة التى يرتادها هواة الطاولة والدومينو والشطرنج . . مع الشيشة وأغانى أم كلثوم . .

** تلك هى حكاية شيخ وشارع اسمه عماد الدين !!

الموسكى .. وحكاية جملين محملين بالتبن :

هو شارع بدأ شقه وتعميره على مراحل عديدة ، على مدى عمر خمسة من حكام مصر من أسرة محمد على هم : محمد على الكبير نفسه . وعباس الأول وتوقف فى عصر سعيد باشا ولكن جاء الخديو إسماعيل ليستأنف العمل فيه . . ثم استكمل فى عهد ابنه الخديو توفيق . . ذلك شارع الموسيكى والسكة الجديدة . . وجوهر القائد .

وكان الهدف من شقه هو توفير منطقة تجارية فى قلب القاهرة المعزية الفاطمية حيث الغورية والسيوفية والخيامية ، وعند أعتاب الأزهر الشريف ومرقد الإمام الحسين . . والحمزاوى . .

وشارع الموسكى أوله يقع فى آخر شارع السكة الجديدة من عند قنطرة الموسكى بجوار القرة قول ـ أى قسم الشرطة ـ وآخره عند العتبة الخضراء .

** وشارع الموسكى ينسب إلى الأمير عز الدين موسك أحد أقرباء السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وهو الذى أنشأ قنطرة الموسكى . وكان رجلاً خيرًا يحفظ القرآن ويواظب على تلاوته ويحب أهل العلم والعلماء .

أما شارع السكة الجديدة فيبدأ من جهة تُرب الغريب وينتهى أول شارع الموسكى تجاه المفارق الأربعة ، وهو الآن شارع جوهر القائد . وبدأ فتح هذا الشارع أيام محمد على باشا الكبير عام ١٢٦٢ هـ ١٨٤٦م ولهذه حكاية : فقد بدأ شارع السكة الجديدة

شارع الموسكى كما يبدو حالياً كأهم أسواق القاهرة الشعبية

كمشروع فرنسى خلال الاحتلال ليفتح المرور أمام التجارة الأوربية إذ زاد نطاق التجارة من ناحية الموسكى والأزبكية وسكن فيها كثير من التجار الأجانب وبالذات فى « حارة الفرنج » وكان أغلبهم من اليهود وكثر عدد العربات وتعسر السير فى الأزقة والحوارى وتكررت شكاوى التجار من تعطل حركة التجارة ، فأصدر محمد على قراراً بشراء الأملاك التى تعترض الشارع وتولى « قلم الهندسة » تخطيط الشارع المقترح وبدأ شق الطريق إلى تقاطعه مع قنطرة الموسكى على الخليج . وتم فتح الشارع عام ١٨٤٩م .

** وفى أيام عباس الأول ـ ثالث الولاة من أسرة محمد على ـ تم مد الشارع إلى شارع النحاسين « المعز لدين الله » وفى عهد الخديو إسماعيل تم مده إلى جهة الغريب قرب الترب . وبالمناسبة كانت هناك عدة ترب أى مقابر وسط القاهرة : فى الرويعى . والجامع الأحمر خلف شارع كلوت بك وترب المناصرة . وفى عهد الخديو توفيق تم استكمال الشارع بإنشاء أرصفة على جانبيه من الحجر . أما أرض الشارع فتم دكها بالمكدام .

ويروى على باشا مبارك فى خططه التوفيقية حكاية شق هذا الشارع أيام محمد على باشا ، فقد استفتى العلماء فى فتحه وكيفية عرضه فأفتوه بأن يجعل عرضه يسمح بمرور جملين محملين بالتبن دون مشقة فى مرورهما . وعلى ذلك تقرر أن يكون عرض الشارع ٨ أمتار . وكان هذا العرض كافيًا وقتها . وعلق على مبارك على هذا العرض فقال إنه غير كاف ـ أيام الخديو توفيق فماذا نقول الآن والشارع بنفس العرض الذى أنشىء عليه منذ حوالى ١٥٠ عامًا ؟! بل ماذا يقول على باشا مبارك أول وزير للأشغال فى مصر عندما يرى الشارع الآن وكيف يعجز المشاة أنفسهم عن السير فيه ؟ . . مما دفع محافظة القاهرة إلى منع سير السيارات فيه بسبب ضيقه !!

** وقد سهل فتح هذا الطريق حركة التجارة وسط القاهرة الفاطمية . . والغريب أن هذا الشارع كان أول شارع بالعرض فى القاهرة كلها . إذ أن شوارع القاهرة كانت شوارع طولية بحكم أن المدينة مدينة طولية بامتدادها مع نهر النيل واشهر الشوارع الطولية هو شارع المعز لدين الله من باب زويلة فى الجنوب إلى باب الفتوح شمالاً .

** وللحقيقة كان لمحمد على باشا فضل كبير فى تغيير ملامح شوارع القاهرة ، فقد أزال الأبواب التى كانت منتشرة فيها على الحارات ، كما فتح طريقًا يربط القاهرة ببولاق التى كانت شبه مدينة منفصلة وأزال المقابر التى كانت فى قلب القاهرة وزرع الأشجار على جانبى بعض الطرق وجفف جزءًا من بركة الأزبكية . وأمر بتنظيم وتنظيف شوارع المدينة وكنس ورش وإنارة الشوارع وأمر بهدم المساكن الآيلة للسقوط . وكنس الأسواق وأمر بتعليق قناديل على أبواب المبانى . وأزال الأنقاض التى كانت تحيط بالقاهرة وكانت تحمل لها السموم عند هبوب أى عاصفة ، واستخدم ترابها فى ردم البرك التى كانت منتشرة فى القاهرة عام ١٨٢٧ . كما أزال تل العقارب الملاصق للنيل عند قصر العينى ، وكذلك التلال الواقعة بين حى الناصرية وجاردن سيتى ، وزرع فيها أشجار الزيتون . . وتلك التى كانت تسد الطريق إلى شبرا بجوار قنطرة الليمون ـ كوبرى الليمون حاليًا ـ وحولها إلى حديقة كبيرة عام ١٨٣١ .

** وأزال محمد على المصاطب التى كانت موجودة أمام الدكاكين وكانت تعوق السير فى الشوارع وتقلل من عرضها . وأزال الحصر التى تظلل الأسواق وغيرها بأسقف من خشب . . وأمر الأهالى بطلاء المنازل باللون الأبيض لتبدو الشوارع أكثر بهاءً !!

القلعة والأزهر والجيش .. خليط يخرج من العتبة الخضراء :

بعد شارع الموسكى والسكة الجديدة يأتى الحديث إلى شارع الأزهر الذى بدأ التفكير فيه فعلاً فى عصر محمد على أيضًا . بل بدأ تنفيذه فى نفس عام إنشاء شارع الموسكى أى عام ١٨٤٥م وإن كان أكثر طموحًا من الموسكى والسكة الجديدة . .

** ونبعت فكرة شارع الأزهر من الأزبكية أى يسير بانحراف من الأزبكية إلى القلعة . وبدأ تخطيطه بإزالة المدافن التى كانت تقع فى بدايته وشراء المنازل التى تقع فى طريقه . . بل كان شارع كلوت بك نفسه يعتبر امتدادًا لشارع محمد على أى تم التخطيط ليصبح طول هذا الشارع كيلو مترين ونصف الكيلو . واستلزم شقه هدم ٧٠٠ منزل وعددا كبيرا من المبانى مثل جامع قوصون .

**وعندما بدأ تنفيذ فتح شارع الأزهر تم إزالة جامع أزبك وحمامه الذى كان

موقع محطة كوبرى الليمون ، وكانت فى مكان قنطرة الليمون التى كانت تطل على نهر النيل عندما كان
يصل إلى ميدان باب الحديد الحالى .

معروفًا بحمام العتبة الخضراء . وتم جمع بقايا عظام الموتى الذين كانوا يدفنون فى مقبرة أو تربة الأزبكية ووضعت فى صهريج فى أول شارع العشماوى وبنى عليه الجامع المعروف باسم جامع العظام .

** وشارع الأزهر أعرض الشوارع التى تخرج من ميدان العتبة . وهى شوارع القلعة « محمد على » وشارع الموسكى وشارع الجيش « الأمير فاروق سابقًا » وشارع عبد العزيز . .

وإذا كان الخديو إسماعيل هو الذى أكمل شارع الأزهر والذى أمر بإنارته بالغاز وتنظيفه ثلاث مرات يوميًا ، وتحفه أرصفة مظللة بالأشجار أو مغطاة بالعقود ، فإن الخديو إسماعيل هو الذى أمر بشق شارع جديد على يمينه هو شارع عبد العزيز . . وقد أمر إسماعيل بشق هذا الشارع تيمنًا بزيارة السلطان العثمانى عبد العزيز لمصر فى مارس ١٨٦٣ .

وهذا الشارع يصل من العتبة إلى قصر عابدين وفتح للمشاه عام ١٨٧٠م .

** أما شارع القلعة « محمد على » فقد بدأ التفكير فى شقه أيضًا أيام محمد على باشا عام ١٨٤٦ ، ولكن تم فى عهد الخديو إسماعيل عام ١٨٧٤ ليبدأ من جهة العتبة الخضراء ويصل إلى جامع السلطان حسن . وتولى شقه وتجهيزه ديوان الأشغال الذى كان يشرف عليه على باشا مبارك . وتم شراء المبانى التى كانت تعترض هذا المشروع الحيوى وكذلك المحال التجارية وبالذات فى جهة المناصرة وباب الخلق والداودية ، وأيضًا الأرض التى أعيد عليها بناء قنطرة باب الخلق على الخليج ، وتكلف شق هذا الشارع وتعويض أصحاب المبانى حوله حوالى ٧٨٦٤٥ جنيها و ٤٤٨ مليما كما جاء فى كتاب « تقويم النيل » تأليف أمين سامى باشا .

ومازالت هناك مواقع مرتفعة حول الشارع يصعد الناس إليها بسلالم خصوصًا عند بدايته من ناحية ميدان العتبة الخضراء .

ويتميز شارع القلعة بطراز خاص لمبانيه إذ تم بناء هذه العقارات على جانبى الشارع بحيث تعلوها البواكى التى تظلل الرصيف من الجانبين لتوفير مظلة للتجار والمترددين

لحمايتهم من أشعة الشمس ومن مياه الأمطار . وهذا الطراز من المبانى مازال موجودا فى أجزاء عديدة فى الأحياء القديمة فى باريس . وعند التقاء شارع القلعة بميدان باب الخلق على الخليج ، كانت هناك قنطرة أعاد الخديو بناءها بالكامل وأقام أمامها أول دار للكتب هى « الكتبخانة » التى مازالت قائمة فى موقعها وبجوارها المتحف الإسلامى أمام مديرية أمن القاهرة الآن . .

** أما شارع الجيش فقد أنشأه عثمان باشا محرم وزير الأشغال عام ١٩٢٦ ليبدأ من ميدان العتبة حتى يصل إلى ميدان باب الشعرية . وأطلق عليه اسم : الأمير فاروق الذى كان وليًا للعهد وانتهى رصفه بعد أربع سنوات ، وافتتح للمرور عام ١٩٣٠ ليصل إلى منطقة الحسينية وميدان عبده باشا فى العباسية . وبعد يوليو ١٩٥٢ ومع موجة تغيير أسماء الشوارع تم إطلاق اسم الجيش على شارع الأمير فاروق الذى كان شارعا قديما ضيقا فى موقعه قبل أن يفتحه عثمان محرم يطلق عليه : حارة العسيلى . . وسبحان مغير الأحوال !!